تمثلات ثقافة العمل التطوعي في المخيال الشعبي الليبي

(رؤية نظرية)

د.سالم الحاج

قسم، علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم مسلاته، جامعة المرقب، ليبيا

smamila77@gmail.com

ملخص:

تهدف الدراسة للوصول إلى معرفة تمثلات العمل التطوعي في الثقافة الشعبية الليبية، وما هي محددات تقديم خدمات التطوع وفق نسق عام يسهم في تجانس المجتمع وتطوره، وتكمن أهمية الدراسة في محاولة تكوين رؤية نظرية لمحددات العمل التطوعي، ومعرفة مدى ارتباطاتها بالحياة الاجتماعية بشكل عام، وتسير الدراسة وفق المنهج الوصفي، ومن خلال البحث الاستقصائي لتأصيل محددات العمل التطوعي ودوافعه، ومعرفة أطره الاجتماعية، ومرجعياته القيمية.

ومن خلال استنتاجات البحث تبين أن هناك محددات معينة للأعمال التطوعية تتمثل في الثقافة، والتمثلات الاجتماعية، والمخيال الاجتماعي، حيث تشكل في مجملها المحددات الأساسية للعمل التطوعي، إضافة إلى روافد أخرى تعمل على زيادة فاعلية الأعمال التطوعية.

وقد توصلت الدراسة إلى بعض التوصيات، والتي يمكن أن تدفع لمزيد البحث عن تأصيل أكثر لمحددات العمل التطوعي، وبيان أهمية البحوث الاجتماعية لإيجاد رؤية نظرية يمكن البناء عليها في تفسير آليات العمل التطوعي ودوافعه.

الكلمات المفتاحية: *(التمثلات الاجتماعية، الثقافة، العمل التطوعي، المخيال الاجتماعي).*

مقدمة:

ينطلق العمل التطوعي عند البشر من محددات معينة، ويبقى تعلق الناس بالعمل مع بعض وتقديم الخدمات للغير مرهون إلى حد كبير بعدة اعتبارات، منها الشخصية، والأسرية، والمجتمعية، فشخصية الإنسان الفرد تحدد بشكل مباشر مدى قدرته على تقديم العون للغير، ومهما يكن للإنسان من قدرة على مساعدة الآخرين، ومن ظروف تحتم عليه تقديم تلك المساعدة، فإنه لا يفعل ذلك في كل الحالات، ويتساءل البعض عن السر وراء ذلك، وربما تكون مكونات الشخصية أحد الأسباب، إضافة إلى الأثر الأسري، فالأسرة هي من يتولى غرس قيم الفردانية، أو القيم الجماعية، وغالباً ما تؤدي الأسرة هذه الوظيفة تناغماً مع الوضع الاجتماعي العام، وهنا يلعب المجتمع دوراً كبيراً في تعلية فاعلية العمل التطوعي، وهكذا يمكن القول أن السلسلة مترابطة بين الفردي، والأسري، والمجتمعي في خلق نمط السلوك

الجمعي القادر على تثمين دور العمل التطوعي، ويرى الباحث أن للعمل التطوعي محددات معينة، تتمثل في الثقافة، والمخيال الاجتماعي، والتمثلات الاجتماعية، وسنحاول في هذا البحث توضيح ما يتعلق بكل منها على حدة، ثم صياغتها في إطار عام يمكن أن يؤدي إلى تكوين رؤية نظرية قد تسهم في تكوين قالب نظري يؤسس لقيام بحوث تتناول العمل التطوعي من جوانب أخرى، وهو ما يهدف البحث إلى تحقيقه.

مشكلة الدراسة: في كل دول العالم يعد العمل التطوعي ذو أهمية بالغة، ومن نافلة القول التأكيد على ذلك، ويمكن لأي باحث ملاحظة كيفية إدارة الأعمال التطوعية، وآليات القيام به، غير أن هناك جانب مهم للعمل التطوعي يبرز من التساؤل الرئيسي حول، لماذا يُقدم الناس على العمل التطوعي أساساً؟ وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة للبحث في محددات العمل التطوعي، من خلال تمثلات العمل التطوعي في الثقافة، وفي المخيال الشعبي الليبي.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة فيما يمكن أن تكشف عنه من حوافز للعمل التطوعي، وإبراز أهم محددات العمل التطوعي والمساهمة في علو السلوكيات الخيَرة والمثمرة، ومن ثم محاولة تكوين رؤية نظرية لمحددات العمل التطوعي، ومعرفة مدى ارتباطاتها بالحياة الاجتماعية بشكل عام.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى معرفة تمثلات العمل التطوعي في الثقافة الليبية، ومعرفة أهم المحددات للقيام به لدى الأفراد من خلال المخيال الشعبي الليبي.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة: احتوت الدراسة على مصطلحات أساسية تشكل من خلال دراستها تصور لمحتوى البحث، وتتوازى أحياناً فيما بينها لخلق رؤية واضحة لمسألة العمل الجماعي بشكل عام، وهذه المفاهيم هي:

الثقافة: الثقافة لغةٌ: ثقف يثقف، ثقافة، فهو تقف. ثقافة [مفرد]: ج ثقافات: علوم ومعارف وفنون يدركها الفرد.(عمر، المجلد الثاني، 2008م، ص، 318)

والثقافة اصطلاحاً: في كتابه الثقافة البدائية يعرف تايلر الثقافة بأنها " كل معتقد بما في ذلك المعرفة والمعتقد والفن والأشياء المعنوية والقانون والتقاليد وجميع القابليات الأخرى، والعادات التي اكتسبها الإنسان بصفته عضواً من أعضاء المجتمع"(فيريول،2011م، ص، 66)

أما في علم الاجتماع فالثقافة ترتبط بكل ما أوجده الإنسان في بيئته الاجتماعية، مادياً أو معنوياً.

ومع ما ورد من معان للثقافة بمفهومها العام وهو ما يتماشى مع ما ورد في هذا البحث، فإن معنى الثقافة في هذه الدراسة هي محددات العمل التطوعي الثقافية لدى الأفراد، ومدى مساهمتها في دفعهم لذلك الفعل.

المخيال الاجتماعي: المخيال الاجتماعي يتحدد بواسطة عدة عوامل، وهو يمثل المرجع العام لأي مجتمع يحمل في طياته التصورات والأفكار حول الموضوعات التي تشغل بال الجماعة البشرية، وعن طريق المخيال الاجتماعي يجد الأفراد ضالتهم في الإجابة عن الأسئلة التي تعترضهم في حياتهم اليومية، داخل مجتمعهم أو خارجه.

والمخيال الاجتماعي في هذه الدراسة هو تلك الأفكار التي يكونها الأفراد حول العمل التطوعي، وآليات القيام به.

التمثلات الاجتماعية: "التمثّل: هو التصور، وتقول تمثّل الشيء تصور مثاله، أي تخيله تخيلاً حسياً، ويتطلب التمثّل حضور صورة الشيء في الذهن، والآخر قيام الشيء مقام الشيء." (صليبا، 1982م، ص، 342)

وتعني التمثلات الاجتماعية في هذه الدراسة مجموعة الصور الذهنية والأفكار والآراء والاتجاهات التي يكونها الناس حول موضوع العمل التطوعي، ومدى تناغم ذلك مع الوضع الاجتماعي العام.

العمل: لغةٌ، "عمل يعمل عَمَلاً، فهو عامل، عملَ الرَّجلُ: مهن: عمل تاجراً طبيباً / مهندساً، مارس نشاطاً وقام بجهد للوصول إلى نتيجة نافعة، عمل الشيء طوعًا: عمله برضاه، غير مكره عليه." (عمر، المجلد الثاني، 2008م، ص، 1554)

العمل التطوعي: " تطوع/تطوع بـ يتطوع، تطوعاً، فهو متطوع، والمفعول متطوع به. تطوع الشخص: تقدم لعمل ما مختاراً، قدم نفسه لإنجاز عمل أو مهمة بدون مكافأة أو أجر " تطوع كثير من الشباب للخدمة في الجيش ـ كثر المتطوعون لتنظيف المسجد."(عمر، المجلد الثاني، 2008م، ص، 1422).

وفي الاصطلاح:

يشير أغلب الباحثين إلى أن العمل التطوعي هو ما يقدمه الإنسان طواعية، من جهد أو وقت أو مال، وما كان من غير أجر، بغض النظر عن هذا الأجر سواء كان مادياً أم غيره.

وفي هذه الدراسة العمل التطوعي هو الجهود التي يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد في المجتمع الليبي طواعية لمن حولهم، أو لآخرين دونما مقابل مادي.

العمل الجماعي: تسود روح العمل الجماعي لدى العديد من الكائنات على سطح الأرض، وتبدو الحكمة في سياق المسار الجمعي لمجتمعات النمل والنحل مثلاً، فهي تقوم بأعمالها بصورة جماعية مُنسقة حسب ما جُبلت عليه، وينتج عن ذلك عمل مُنظم وإنتاج وفير، غير أنه عند البشر يكون بشكل مغاير، فمنذ خلق الإنسان على هذه الأرض وهو يسعى جاهداً من أجل تأمين حياته، ومع ما عاناه الإنسان الأول من ظروف طبيعية، ممثلة في مظاهر الطبيعة المختلفة، وما تمثله الحيوانات الضارية من جهة أخرى، إلا أنه استطلع تجاوز كل الظروف، وتأقلم مع كل البيئات، وها هو الآن يحاول السيطرة على الفضاء، وما كان له أن يحقق أي شيء من ذلك بمفرده، فمن استعانة البشر ببعضهم البعض في اتقاء أخطار الطبيعية، أو الحيوانات المفترسة، إلى مجابهة مخاطر بني جنسه أيضاً، وكل ذلك إنما كان يتم جماعياً، وكلما تكاتفت الجهود كان الانجاز أفضل، ومن هنا كان العمل الجماعي سمة من سمات الجماعات البشرية.

واصطلاحاً: "العمل الجماعي هو تعاون الأشخاص معًا، متجاوزين حدود الخبرة، أو الهرم الوظيفي، أو المسافة الجغرافية، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. إن العمل الجماعي هو عملية يتم فيها جمع مهارات وأفكار من مجالات مختلفة معًا لإنتاج شيءٍ جديد." (ادموندسون، 2017م، ص، 7)

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، من خلال تتبع طبيعة العمل التطوعي، ومنطلقاته الأساسية، والمؤثرات المتداخلة في تمتع بعض الأشخاص بروح العمل الجماعي دون غيرهم، والروافد المتعددة الداعمة له.

الدراسات السابقة: حظي العمل التطوعي بدراسات عديدة، وإن كانت الزوايا مختلفة من حيث الهدف، واختلاف النتائج، ولكنها تشترك في الموضوع، وربما تكون هذه الدراسة ذات اتجاه مغاير، ولكنها ومن حيث التراكم المعرفي لابد لها من الاستناد إلى دراسات سابقة، ومعرفة إلى أي مدى تمكنت تلك الدراسات

من ملامسة حقيقة العمل التطوعي، وتأصيل دوافعه، وفي هذا السياق سيتم تناول دراسات عربية ودراسة واحدة أجنبية:

الدراسة الأولى: (علي بن حمد السحيباني،2022م):. المشاركة المجتمعية في وقت الأزمات، جائحة كورونا كوفيد 19 أنموذجاً، مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية، المركز الوطني للبحوث والدراسات الاجتماعية، المجلد 2، العدد 1، الرياض، السعودية. (السحيباني، 2022م).

وهي تتناول المشاركة المجتمعية في وقت الأزمة. وتعمل على معرفة رأي المتطوعين في هذا الشأن، وتوصلت الدراسة للنتائج الآتية: كان لإسهام الأفراد والمؤسسات الحكومية والأهلية دور في التصدي للجائحة وبشكل عام، كما أن الأفراد لا ينتظرون الحصول على مقابل مادي، ولكنهم ينظرون إلى المكاسب المعنوية نتيجة لإسهاماتهم الفعالة، وهذا ما تم ذكره في الإطار العام الذي تنطلق منه النظرية التبادلية. اختلفت أنواع المشاركة المجتمعية ما بين مشاركة لجهد البدني والتخطي وتقديم مساعدات وتسهيل إجراءات، وأن المشاركة لجهد والوقت أكثر فعالية من المشاركة المادية.

الدراسة الثانية: (زوقاي مونية، جمال معتوق، 2016م): العمل التطوعي ودوره في تنمية المجتمع، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 9، العدد 2. (زوقاي، معتوق،2016م.)

جاءت هذه الدراسة محاولة رصد هل للعمل التطوعي دور في تنمية المجتمع باعتباره ركيزة أساسية للتنمية بكل أشكالها ومجالاتها؟ مع إبراز أهميته وأهدافه ودوافعه وأثار العمل التطوعي على الفرد والمجتمع وخاصة أن العمل التطوعي يحمل في طياته العديد من القيم الاجتماعية والدينية والوطنية، التي تستهدف المتطوع وترتقي به ليكون عنصرا فعالا في مجتمعه،

ولأجل ذلك يثار سؤال مفاده: ما هو الدور الذي يلعبه العمل التطوعي في تنمية المجتمع؟ من خلال الدراسة نستطيع استخلاص النقاط التالية:

ـ يمثل الشعور بالمسؤلية دوراً في تفعيل العمل التطوعي.

ـ للعمل التطوعي دوافع دينية ذات أبعاد روحية.

ـ للتضامن والتكافل الاجتماعي أهمية كبرى في ترسيخ قيم العمل التطوعي.

ـ العمل التطوعي يعزز مبادئ الحب، والإخاء، والإيثار.

الدراسة الثالثة: (فاطمة أحمد رفيدة، 2016م): العمل التطوعي ودوره في تنمية المجتمع، رؤية واقعية لدور الجمعيات الأهلية في مدينة مصراتة، مجلة كلية الآداب–العدد السادس. (رفيدة، 2016م) تهدف الدراسة لفهم العمل التطوعي ودوافعه ومعوقاته، وعلاقته بالتنمية، ولذلك فمشكلة البحث تتمثل في محاولة (رصد دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع.

وتوصلت الدراسة للنتائج الآتية: ارتفاع نسبة الذكور عن نسبة الإناث، في ممارسة العمل التطوعي داخل الجمعيات الأهلية، وأكدت نتائج البحث على أن أغلب العينة ترتكز في الفئة العمرية من 21–34 سنة، وكذلك الفئة العمرية 31–44 سنة، وهذا يدل على أن العمل التطوعي وقيادة منظمات المجتمع المدني تحتاج إلى أشخاص ذوي نضج وكفاءة وقدرة على تحمل المسؤولية، وأن أعلى فئة تعليمية في عينة المتطوعين والعاملين في منظمات المجتمع المدني كانت من فئة التعليم الجامعي.

الدراسة الرابعة: (عبد اللطيف الرباح، 2006م): التربية على العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية، منشور في مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية، المجلد الثاني عشر – العدد الثالث. (الرباح، 2006م.)

تهدف الدراسة لمعرفة الدوافع من أهم المجالات التي تناولها علماء النفس في نظريات التعلم المعرفة الدافعية، وأثرها على التعلم عند الإنسان وعلى سلوكه بشكل عام. كما يدرسها علماء التربية لمعرفة طرق وأساليب التحكم في السلوك الإنساني، وأثر الدافعية في ذلك، ويدرس المتخصصون في العلوم الإدارية الدوافع باعتبارها محركاً لأداء الموظفين، وسبباً لرضاهم الوظيفي .

ويرى الباحث أن نظريات الدوافع عموماً، ونظرية الحاجات الإنسانية عند (ماسلو) تحديداً من المجالات الخصبة التي يمكن استثمارها في تربية الأفراد على العمل التطوعي .

واستخدم الباحث المنهج التاريخي، والمنهج الوثائقي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج متعددة منها: أن العمل التطوعي يسهم في اكتساب القيم، وينشر الفضائل الرفيعة.

الدراسة الخامسة:

_Understanding Volunteer Motivations: Recruiting and Retaining Youth and Young Adults Ieshia M. West. Faculty Sponsor: Dr. George Hendricks Department of Social Work(.George Hendricks.(2020م ،Hendricks)

هذه الدراسة بعنوان: فهم دوافع المتطوعين. يحاول الباحث معرفة دوافع الأفراد للمشاركة في العمل التطوعي، ويحدد ما هي الدوافع المرتبطة بمشاركة الشباب، وقد خلصت الدراسة إلى أنه: لا توجد طريقة محددة للتنبؤ أو تحديد ما إذا كان الفرد سيقدم وقته وجهوده كمتطوع، ولا يوجد دافع نهائي لشرح السبب

الدقيق الذي يجعل الفرد يقرر التطوع، والشباب لديهم مزيج من الدوافع التي تحثهم على دور التطوع حتى إذا كانت المصلحة الذاتية تبرز أكثر من غيرها.

وإذا نظرنا في محددات العمل التطوعي وعوامله في الدراسات السابقة نجدها تنحصر في الآتي: في دراسة زوقاي مونية وجمال معتوق تتربع الدوافع الروحية على سلم أولويات المحفزات على العمل التطوعي، فالثواب الأخروي يحتل المرتبة الأولى وتأتي من بعده الرغبة عند المتطوعين في تقوية احترام الذات، والاستفادة من وقت الفراغ.، وارتفاع درجة المسئولية الاجتماعية، والرغبة في التعلم واكتساب المعارف الجديدة، مع مشاعر الرضي عن النفس وإحساس المتطوع بأهمية الإيثار.
أما دراسة عبد اللطيف الرباح فقد أكدت على عوامل الوراثة، والخبرة، والثواب والعقاب، والدور الاجتماعي.
أما في دراسة علي السحيباني فهناك دوافع مباشرة وأخرى غير مباشرة. محمد، (عبد الفتاح محمد 2007 م) التي تحدد دوافع العمل التطوعي في حب العمل من أجل الصالح العام، واكتساب العديد من الأصدقاء والزملاء، وحب الاندماج مع الآخرين والعمل الجماعي، والحصول على منصب وظيفي في الهيئات أو الجمعيات أو المنظمات، والعمل من أجل كسب تقدير المواطنين واحترامهم، أما دراسة. (George Hendricks، 2020م) فلا يمكن التنبؤ بكيفية التطوع، ولا يمكن معرفة دوافعه على وجه التحديد.
ومن مجمل الدراسات يمكن القول بأن آليات العمل التطوعي تتشابه إلى حد كبير بين مختلف المجتمعات، وهو ما يؤشر إلى وجود محددات معينة تعمل على بلورة طرق العمل التطوعي، ومدى ترسخه في ذهنيات الأفراد، والحياة الاجتماعية بشكل عام، وهو ما يعزز طريقة البحث في هذه الدراسة لمعرفة هذه المحددات، والتأكيد عليها.

محددات العمل التطوعي:

غالباً ما يرتكز الأفراد عند القيام بالأعمال التطوعية إلى قيم شخصية وأسرية ومجتمعية، وتكون هذه القيم نتاج ثقافة المجتمع بشكل عام، ومن هنا تسود الروح التطوعية كل بلدان العالم، غير أنه توجد بصورة أكبر في بلدان دون أخرى، ففي امريكا مثلاً، "وفي عام 2015، تطوع 62.6 مليون أمريكي في سن 16 وما فوق، ساهموا بـ 7.9 مليار ساعات الخدمة، وقدرت قيمة خدمتهم بمبلغ 184 مليار دولار." (George Hendricks، 2020م) ويمكن لأي متابع ملاحظة كم الجمعيات التي تستهدف القيام بالأعمال الخيرية، أو المنظمات غير الربحية، أو الأفراد المتطوعين للقيام بأعمال التطوع مجاناً وفي أي مكان، يجدها تُعد بالملايين في بعض المجتمعات، أو بالآلف في مجتمعات أخرى، في حين لا تصل لذلك العدد في مجتمعات أخرى، وكما أسلفنا في مقدمة البحث بأن للعمل التطوعي محددات معينة، وهذه

المحددات أساسية في تشكيل وبيان وتوضيح أسس هذا النشاط، وربما تساندها محددات أخرى سنعرض لها في حينها، والمحددات الأساسية هي: الثقافة، والمخيال الاجتماعي، والتمثلات الاجتماعية، ويمكن بيان طبيعتها وفق الآتي:

أولاً ــ الثقافة والعمل التطوعي: تسهم الثقافة إلى حد كبير في بيان توجهات الأفراد نحو العمل التطوعي، ويكتسب الأفراد العادات الاجتماعية من خلال معيشتهم في جماعة، وتمثل الجماعة الإطار المرجعي لسلوكياتهم، وحيث أن آليات العمل التطوعي لا تكون فردية بحال، فإن ترسخ ثقافة مساعدة الغير، وتقديم الخدمات للآخرين، عادة ما تكون نتاج ثقافة مجتمعية كاملة.

ولذلك نجد أن تشكل المعارف والرؤى لدى الأفراد حول العمل التطوعي ناتجة بشكل أو بآخر عن الثقافة العامة للمجتمع، ولا تتأتى المردودية المطلوبة من الأعمال التطوعية إلا من خلال نمط العمل الذي تحدده الجماعة البشرية استناداً إلى رؤاها في الحياة، وهكذا يمكن النظر إلى مدى اتساع رقعة الأعمال التطوعية في المجتمعات البشرية من خلال ثقافة أفرادها، ولعل هذا ما يدفعنا في هذا البلد لمزيد العناية بترسيخ قيم العمل التطوعي، وخلق ثقافة تحبذه، ويعتقد الباحث أن هذا شيء مُمكن الحدوث نظراً لتغلغل ثقافة العمل التطوعي في الوجدان الليبي منذ القدم، ويمكن لأي باحث معرفة جذور كلمة "رغاطة " مثلاً، فهي تعني انضمام مجموعة من الأفراد إلى بعض من أجل تقديم خدمة لشخص محتاج إليها دونما مقابل، ودون طلب منه، بل نجدهم يؤدونها بكل حب وتفان، وإن كانت هذه الأعمال تتم بصور غير منظمة وعفوية ودون تأطير، إلا أنه يمكن البناء عليها في تعزيز ثقافة العمل التطوعي.

وتتشكل ثقافة العمل التطوعي من خلال الإطار العام الذي تُتيحه التنشئة الاجتماعية، فتعمل على بلورته في صور معينة يتمثلها الأفراد في حالات الحوادث المختلفة التي تتطلب منهم عملاً جماعياً، وقد تكون المعاني التي يحملها الأفراد متفاوتة إلى حد ما نتيجة لظروف وصول تلك الصور لكل منهم على حدة، ولكنها في المُجمل تُعطي للملاحظ سياق محدد يمكن عن طريقه الحكم على نمط العمل التطوعي السائد لدى أي جماعة بشرية.

ثانياً ــ المخيال الاجتماعي والعمل التطوعي: ينشأ المخيال الاجتماعي بمرور الزمن وتراكم الخبرات للجماعة البشرية، فهو الصور الذهنية التي يشكلها أفراد مجتمع ما حول أنماط حياتهم، وكيفية تواصلهم، وطرق استجابتهم للأحداث، ويمثل المخيال الاجتماعي رافداً مهماً في تكوين شخصية الفرد، ومن ثم يوحي له طرقاً متعددة للتصرف حيال المواقف التي يتعرض لها في حياته، ويمكن لنا ملاحظة الفروق بين الاستجابات المختلفة للأحداث بين الأشخاص المستندة للاختلافات الراجعة لمناطق إقامتهم، ومن

خلال تأصيل مدى قدرة الفرد على الانخراط في العمل التطوعي، يمكن القول بأثر المخيال الاجتماعي في تعزيز هذه الصفة، فسلوك الإنسان الفرد ليس وليد اللحظة، بل له جذور تمتد إلى ما وراء ذلك، ويستقي أفكاره من أسرته ومحيطه الاجتماعي بشكل دائم، وحتى لو لم يشارك في أعمال تطوعية فإن ما يتحقق أمام ناظريه يشكل جزء من شخصيته، ومن ثم يلعب المخيال الاجتماعي دوراً مهماً في بلورة ماهية العمل التطوعي وسبل تنفيذه وما يمكن أن يترتب عنه، والتي تمثل بشكل العام الرؤية الشاملة لهذا السلوك الجمعي.

ومع ما للعمل التطوعي من قيمة، إلا أن تشبع المخيال الاجتماعي بأن العمل التطوعي جزء من الحياة اليومية، وأن إمكانية استمرار وتطوره متاحة على الدوام هو الأمر الذي يحافظ على جذوة العمل التطوعي لدى الأفراد على الدوام.

ثالثاً ــ التمثلات الاجتماعية والعمل التطوعي: وهنا نصل إلى النقطة الجوهرية الثالثة وهي التمثلات الاجتماعية، والتي تعمل بدورها على تحديد النظرة إلى العمل التطوعي، فما الذي يتوقعه الفرد من أشياء جراء القيام بالعمل التطوعي، وفي هذا الشأن يمكن أن أورد المثل الآتي: في فصل الصيف من العام الماضي 2023م أقامت وزارة الشباب مخيماً للشباب في منطقة الخمس، وتضمن البرنامج محاضرات حول العمل التطوعي، فتوجهت بسؤال إلى الشباب فحواه: ما الذي يدفعك للعمل التطوعي؟

كانت الإجابة من عدة شباب تدور حول الآتي:

ـ خالصاً لوجه الله.

ـ مساعدة الآخرين.

ـ إرضاء لضميري ولشعوري بالسعادة جراء ذلك.

وفي الحقيقة تحصلنا على إجابات نموذجية عن تساؤلنا حول دور التمثلات الاجتماعية في تحديد كثير من السلوكيات، فما الذي يتوقعه الآخرون منك؟ وما هو المتوقع منك عمله؟ ولماذا تقوم بذلك العمل أصلاً؟ وفي كل الأحوال يمكن أن نخرج بعدة استنتاجات قد تكون مفيدة:

ـ الجزاء الأخروي يأتي على رأس الدوافع وراء القيام بالعمل التطوعي، وهذا يرجع في الغالب إلى التمثلات الاجتماعية التي ترسخت عند الشباب حول أهمية العمل بُغية الأجر الإلهي وليس الأجر

البشري، وهذا شيء ايجابي لأنه يدفع بالفرد للقيام بالعمل دونما النظر إلى من يرى هذا العمل، ولا إلى من يصله.

ـ المساعدة للآخر شيء ايجابي، وهو ما يفسر ما يعرف في ليبيا بالفزعة، فالإنسان يقدم على مساعدة غيره في حالات الأزمة دونما انتظار أن يتم طلبها منه.

ـ تأتي مسألة إرضاء الضمير، والشعور بالسعادة في المرتبة الثالثة، وهي في الحقيقة تتحقق للشخص القائم بالفعل مباشرة ويستمر الشعور بها على الدوام، وهذا من معززات القيام بالأعمال التطوعية.

والسؤال الآن: على أي شيء استند هؤلاء المتطوعون لتقديم الخدمات؟ وما هي دوافعهم لذلك؟

لقد وجدنا الإجابة في السطور أعلاه، ولكن يمكن إضافة أن منطلقاتهم إنما تنبع من شيء عميق يرجع إلى ثقافة ومخيال وتمثلات اجتماعية لأنماط السلوك المُحبب للجماعة، فالعمل الخيري مُرحب به من الجميع، وهو لا يقتصر على مجتمع معين، ففي كل المجتمعات تسود قيم الخير والإحسان، وهذه القيم التي تتطلب إيثاراً وتضحية في أحيان كثيرة تمثل قمة العطاء البشري، وهو ما يعزز الشعور بقيم الخير والمساعدة والعون، وقيمة الحياة بشكل عام.

وبالإشارة إلى ما ورد فيما سبق، من أن هناك محددات أخرى للعمل التطوعي إلى جانب الثقافة، والمخيال الاجتماعي، والتمثلات الاجتماعية، فإن الباحث يود أن يطرح رافدين مهمين هما:

المؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام والاتصال.

فالمؤسسات التعليمية تأتي في المقدمة، بعد الأسرة بطبيعة الحال، من حيث صلتها الوثيقة بالناشئة، فهي أداة غرس القيم الاجتماعية الرسمية، ولذا فقيمة التطوع، والعمل الخيري، والإحسان من ضمن القيم التي تؤكد المناهج الدراسية على ضرورة تشرب نفوس النشء بها لما لها من تأثير على نسق حياتهم بشكل عام، وطرق تكيفهم مع المجتمع.

وتأتي وسائل الإعلام في المرتبة الثانية بعد المؤسسات التعليمية، بل ربما زاحمتها الآن مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي، إضافة للفضائيات والإذاعات المرئية والمسموعة، وغيرها، وكلما كان هناك تمجيد وإظهار لقيم التعاون والتطوع والإحسان والخير في تلك الوسائل كلما تشرب الأفراد هذه القيم، وكانت من ضمن سلوكياتهم، وتفتح أمامهم آفاق العمل التطوعي، وتتيح لهم معرفة أهميته ونتائجه.

وعلى كل يعتقد الباحث بأن العالم ككل أضحى ينظر للصورة كأكبر مؤثر في قضايا الرأي العام، وهذه الصورة بغض النظر عن ماهيتها، ومدى صدقيتها، فإن لها أثراً كبيراً جداً، ومن ثم فإن إظهار الصور الايجابية للتطوع ستعمل ولا شك على انتشار هذه الصفة، والعمل بها في كل مكان.

ويرى ارتر وسارة "أن دوافع التطوع تكمن في الارتقاء إلى مستوى التوقعات الاجتماعية للآخرين المقربين، وفهم العالم، والأشخاص الآخرين، والقضايا الاجتماعية، وتعزيز احترام الذات، وتحقيق الأهداف المهنية والفوائد ذات الصلة، وحماية النفس من المعتقدات السلبية(Arthur Stukas and Sarah Wilson)

ـ العمل التطوعي في حالات الأزمات، وفي الحياة الاجتماعية بشكل عام:

تعرض المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات إلى عديد الأزمات، الطبيعية منها والبشرية، وكانت ردود الفعل الشعبية والرسمية متعددة، وغالباً ما يظهر التضامن الاجتماعي واضحاً بين الناس، وتسود الروح الجماعية خاصة في مواجهة الكوارث الطبيعية، ولا تخلو الحياة الاجتماعية اليومية من مظاهر العمل التطوعي، ويمكن تقصي ذلك في الموروث الشعبي الليبي، فالرغاطة كما أسلفنا مثلاً هي عبارة عن عمل تطوعي يقوم به الأفراد تطوعاً لمن يكون في حاجة إليه، وكان هذا الفعل سائداً خلال القرن الماضي، وكم من أعمال قام بها الأصدقاء والجيران لبعضهم البعض في مجالات الحياة المختلفة في الأفراح والمآتم، في الزراعة والرعي، في البناء وغيرها من متطلبات الحياة اليومية، وتعكس هذه الأعمال الجماعية الروح التي تسود المجتمع، ويمكن لأي باحث أن يكتشف بسهولة حنين الأفراد الآن لمثل تلك الصفات التي كانت سائدة، تعززها الطبيعة، وتؤطرها القيم والمعايير الاجتماعية التي تربى عليها الأفراد في المجتمعات الريفية البسيطة، بل حتى في مجتمع المدينة.

ـ ثقافة العمل التطوعي عند الناس، وقدرتهم على تقديم يد المساعدة للآخرين:

بالعودة للملتقى الشبابي بالخمس 2023م، قال لي أحدهم: عند قيامي بأي عمل تطوعي مع مجموعة من الشباب، هناك من يسألنا: ما هي الفائدة؟ بمعنى ما المقابل وراء هذا العمل الذي تقومون به؟

الحقيقة ليس كل الناس ينظرون للعمل التطوعي بهذا الشكل، ولكنه سؤال يوجه إلينا باستمرار.

على أية حال يمكن تفسير ذلك بتوقع الناس المقابل نظير العمل، وهذا هو المنطق المادي، ولكن نظير العمل قد لا يكون مقابل مادي، وإنما رضاً وسعادة وسرور، وهذه أشياء معنوية تحمل قيماً رفيعة، ولذا نجدها عند بعض البشر فيما يفتقدها آخرون، ومن هنا فإن بعض الحوادث قد تُظهر أشياء كامنة، فكارثة

إعصار دانيال وفيضان درنة 11 سبتمبر 2023م كان بمثابة المثال الحي على ظهور فيضان المشاعر إن جاز التعبير، فبمجرد خروج الخبر للإعلام وفي وسائل التواصل الاجتماعي تنادى كل الليبيين من الجنوب والغرب والشرق نحو درنة، فرادى وجماعات، وظهرت الروح التطوعية التي ترغب في مد يد العون دونما مقابل، فيما عرف في ليبيا باسم (فزعة خوت) يمكن تفسيره بما أوردناه في بداية هذا البحث.

فتقديم المساعدة للمحتاج، والرغبة في مواساة الآخرين تنطلق من ثقافة ومخيال ومن تمثلات المجتمع الليبي.

ففي فترات تاريخية سابقة ظهرت هذه الروح، وعادت ورأيناها في حادثة درنة، وهذه الأشياء تبرز تحت إطار الجانب الاجتماعي للمجتمع الليبي، وهي من الأشياء التي يمكن البناء عليها في حالات إعداد الخطط والاستراتيجيات للدولة الليبية.

ويرتبط العمل التطوعي على المستوى المحلي بالعمل التطوعي على المستوى العالمي بأشكال متعددة، ففي حال الأزمات عادة ما تتجاوز الدول الخلافات وقد تقوم بأعمال لصالح الغير بغض النظر عما بينها من خلافات، أما على المستوى الفردي والشعبي فالأعمال التطوعية عادة ما تأخذ الصبغة العالمية بمجرد حدوث الكارثة، ويمكن الإشارة في هذا الشأن إلى مقولة فكر عالمياً، وتصرف محلياً، والتي لم يتمكن الباحث من الوصول إلى منشأها، ولكن على كل حال فهي مقولة جديرة بالتأمل، وربما يمكن إسقاطها على العمل التطوعي، فللتطوع آفاق عالمية، ولكن يمكن لك أن تنجز أعمالك التطوعية محلياً، وتبقى الأسس العامة للتطوع قائمة بشكل عام، ويمكن للمتابع ملاحظة تلك السلوكيات الناتجة عن مختلف الثقافات حيال الأحداث التي تحتاج لأعمال تطوعية، حيث يمكن مشاهدة متطوعين من مختلف دول العالم في مكان واحد إبان الأزمات، وهذا شيء مثير للاهتمام والبحث، فالشعوب ورغم التباعد المكاني بينها إلا أن روابط تقديم الدعم دونما مقابل مادي ما زالت سائدة إلى حد كبير، وهنا قد يتساءل البعض عن محددات تقديم الخدمات التطوعية عالمياً، أي لأفراد لا تربطهم ببعض روابط الدم والقربى، ولا روابط السياسة، ولا روابط الجغرافيا، ومع هذا يقطعون آلاف الكيلومترات ليقدموا أعمالاً تطوعية لقوم آخرين دونما مقابل.

النتائج والمناقشة:

للدراسات الاجتماعية رؤية ذات طابع تفسيري يستند على مقتضيات الواقع الاجتماعي، ويعتمد على تأصيل المفاهيم من أجل تقديم تصور نظري لها ينطلق من ثقافة ومعايير المجتمع، وحيث أن العمل

التطوعي نشاط اجتماعي بالأساس فقد حاول الباحث التأسيس لإطار معين يحوي رؤية نظرية لمحددات العمل التطوعي، ومن هنا يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

ـ تشكل الثقافة أحد المحددات الأساسية للعمل التطوعي، ويبدو ذلك من خلال نتائج بعض الدراسات المشار إليها أعلاه.

ـ تعمل التمثلات الاجتماعية بمثابة البوصلة للأفراد في القيام بالأعمال التطوعية، وهي إلى جانب أنها قد تشكل دافعاً لهم للقيام بذلك، فإنها في المقابل قد لا تكون كذلك.

ـ المخيال الاجتماعي يحوي صوراً ذهنية عن ماهية العمل التطوعي، ولكن تعرض هذا المخيال لعديد التحديات التي عملت على تعتيم تلك الصور، وربما تغييرها، وهو ما ينذر بتحول في النظرة العامة للتطوع بشكل عام.

إضافة إلى ذلك يمكن أن نستنتج من الدراسة الآتي:

ـ الجزاء الأخروي يأتي على رأس الدوافع وراء القيام بالعمل التطوعي.

ـ تقديم المساعدة للمحتاج، والرغبة في مواساة الآخرين تنطلق من ثقافة ومخيال ومن تمثلات المجتمع التي يتشربها الأفراد.

ـ إرضاء الضمير، والشعور بالسعادة تتحقق للشخص القائم بالفعل مباشرة ويستمر الشعور بها على الدوام، وهذا من معززات القيام بالأعمال التطوعية.

ـ صفة التطوع تعززها الطبيعة، وتؤطرها القيم والمعايير الاجتماعية التي تربى عليها الأفراد في المجتمعات الريفية البسيطة، بل حتى في مجتمع المدينة.

ـ أحياناً يتوقع الناس المقابل المادي نظير العمل، وهذا يكون في الأعمال التي تنظمها الدولة، أما الأعمال التطوعية الشعبية فعادة لا يكون لها مقابل مادي.

التوصيات:

إضافة إلى التأكيد على ما ورد في توصيات البحوث والدراسات المُشار إليها سابقاً حول العمل التطوعي والجماعي، فإن هذه الدراسة توصي بالآتي:

ـ الدعوة للقيام ببحوث اجتماعية تستهدف دراسة القيم المتعددة، وتأصيلها وتحديد مساراتها، ومعرفة المحددات الأساسية لها، حفاظاً عليها وترسيخاً لدورها.

ـ تطوير الدراسات النظرية في علم الاجتماع انطلاقاً من الواقع الاجتماعي، والبحث في كيفية مواءمة النظريات مع البيئة الاجتماعية ذاتها مما يسمح لتلك البحوث بتكوين إطار نظري، ورؤية محددة ذات بُعد اجتماعي حقيقي.

وإلى جانب ذلك توصي الدراسة بجوانب عملية تخص العمل التطوعي الميداني تتمثل في الآتي:

ـ أهمية الدعم الاجتماعي لمن يقومون بالعمل التطوعي، ويمكن ذلك من خلال المساعدة المادية العينية، أو المشاركة، أو حتى بالكلمة الطيبة.

ـ يمكن للمؤسسات التعليمية تأصيل القيم المتعلقة بالعمل التطوعي، وبالعمل الخيري بشكل عام من خلال المناهج الدراسية النظرية، وكذلك من خلال القيام بأعمال تطوعية ميدانية في المجتمع المحلي.

ـ ربما تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً في تعزيز قيم العمل التطوعي من خلال إبراز الأعمال التطوعية، وبيان أثرها على حياة الناس، ولمن يقوم بها شخصياً.

المصادر والمراجع:

ـ عمر، أحمد مختار. (2008م.). وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، الجزء الأول، عالم الكتب، الطبعة الأولى.

ـ عمر، أحمد مختار. (2008م.). وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، الجزء الثاني، عالم الكتب، الطبعة الأولى.

ـ ادموندسون، ايمي سي.(2017م). العمل الجماعي من أجل الابتكار، ترجمة سارة عادل، مؤسسة هنداوي.

ـ صليبا، جميل. (1982م). المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني.

ـ فيريول، جيل.(2011م) معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

البحوث والدراسات والتقارير:

ـ زوقاي، مونية، جمال معتوق. (2016م). العمل التطوعي ودوره في تنمية المجتمع، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 9، العدد 2.

ـ الرباح، عبد اللطيف. (2006م). التربية على العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية، منشور في مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية، المجلد الثاني عشر – العدد الثالث.

ـ السحيباني، علي بن حمد. (2022م). المشاركة المجتمعية في وقت الأزمات، جائحة كورونا كوفيد 19 أنموذجاً، مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية، المركز الوطني للبحوث والدراسات الاجتماعية، المجلد 2، العدد 1، الرياض، السعودية.

ـ رفيدة، فاطمة أحمد. (2016م)العمل التطوعي ودوره في تنمية المجتمع، رؤية واقعية لدور الجمعيات الأهلية في مدينة مصراتة، مجلة كلية الآداب–العدد السادس.

_Understanding Volunteer Motivations: Recruiting and Retaining Youth and Young Adults Ieshia M. West. Faculty Sponsor: Dr. George Hendricks Department of Social Work

.https://www.methodist.edu/wp-content/uploads/2022/06/mr2020_west.pdf

_ Arthur Stukas and Sarah Wilson. Understanding Motivations to Volunteer.

https://www.volunteeringaustralia.org/wp-content/uploads/VRP_Understanding-Motivations-to-Volunteer.pdf

Representations of the culture of volunteerism in the Libyan popular imagination

(Theoretical vision)

Salem Mohammed al-Hajj

Department, Sociology, Faculty of Arts and Sciences mislatah, University of murqib, Libya

smamila77@gmail.com

Summary:

The study aims to get to know the representations of volunteering in the Libyan Popular Culture, and what are the determinants of providing volunteer services according to a general format that contributes to the homogeneity and development of society.the importance of the study lies in trying to form a theoretical vision of the determinants of volunteer work, and to know the extent of their links to social life in general. the study proceeds according to the descriptive approach, and through investigative research to root the determinants of volunteer work and its motives, and to know its social frameworks, and its value references.

Through the research findings, it has been shown that there are certain determinants of volunteer work, represented by culture, social representations, and social imagination, as they constitute the basic determinants of volunteer work, in addition to other tributaries that increase the effectiveness of volunteer work.

The study has come up with some recommendations, which can prompt further research on rooting more for the determinants of volunteerism, and indicate the importance of Social Research to find a theoretical vision that can be built on in explaining the mechanisms of volunteerism and its motives.

Keywords: *(social representations, culture, volunteering, social imagination.)*